المشرق

احوال الآخرة

في عرف النصارى الاولين

لحضرة القس جرجس اليان السرياني الكاثوليكي

يقول المثل اللاتيني ان الامور القديمة تقرب من اللاهوت على حسب ارتقائها في القِدَم (quo anriquius eo divinius) . فبموجب هذا المبدأ تؤيد الكنيسة الكاثوليكيَّة تعاليمها وتبيّن انَّ المعتقدات التي تنشرها اليوم هي معتقدات اجيال النصرانيَّة الاولى لم تختلف عنها ذرَّةً مهما نكر ذلك أولو الغايات البشريَّة والهراطقة المكابرون للحقّ

فمن هذه المعتقدات التي يمكننا اثباتها بالشواهد الاثريَّة الراقية الى اوائل الكنيسة اعتقادنا بأحوال الآخرة من خلود النفس وجزائها بالثواب او العقاب وحصول الابرار على الراحة بصحبة القديسين والحظوة بمشاهدة وجه الله وشفاعة اوليائه عندهُ تعالى لخير الاحياء وغير ذلك من الحقائق التي تدافع عنها الكنيسة في يومنا وتسندها الى تعاليم الرسل بتقليد غير منفصم السلاسل ومحكم الحلقات

واذ يطول بنا ايراد ما قالهُ اللاهوتيُّون واثبتهُ المجامع وعلَّمهُ الاحبار الرومانيُّون جيلًا بعد جيل نكتفي بذكر ما وقف عليهِ الاثريُّون في دياميس رومية حيث سكن النصارى الاوَّلون نحو ثلثمائة سنة فاستقوا المعتقدات المسيحيَّة من رؤوس ينابيعها من الرسل الاوَّلين فدوَّنوا على جدران تلك الاسراب ما تلقَّنوهُ من افواههم من هذا القبيل فننشر بعضاً منها بمناسبة عيد جميع القديسين وتذكار الموتى المؤمنين كما اثبت

المشرق سابقاً معتقدات اولئك المسيحيين بخصوص لاهوت السيد المسيح وقيامته من الاموات وسرّ القربان الاقدس ورئاسة الاحبار الرومانيين فنقول :

انَّ من ينحدر الى دياميس رومية فيسير في شُعَبها المتعدّدة ويلقي النظر على كتابات جدرانها يتأثّر بديهاً مما يقرأُ فيها من ذكر الموتى وخلود نفوسهم وتمتعهم بالافراح السرمدية وقيامة اجسادهم

١ خلود النفس

﴿بقاء النفس وحياتها﴾ واوّل ما تقرّره لهُ تلك الآثار حصول الانفس بعد انفصالها عن اجسادها على البقاء والخلود . فمن ذلك دعاء على ضريح للمسمّى بونيفتيوس فيهِ ما تعريبهُ : «اللهمَّ يا من تدعو اليك الجميع اقبل نفس بونيفتيوس بحقّ اسمك القدّوس» ففيهِ لشارةٌ الى قول الربّ في انجيلهِ مراراً بأنَّهُ يمنح الحياة الابديّة لمن يؤمن به . ويدلُّ على هذا المعتقد القديس قبريانوس الشهيد في القرن الثالث للمسيح بقولهِ في فصلهِ عن كيفيَّة الموتى (ف ٢٠) : « قد أُوحي الينا مراراً شتّى ان نعدل عن البكاء وذرف الدموع على اخوتنا الراقدين الذين دعاهم الله اليهِ وانقذهم من العالم »

ولا شيء اكثر تكراراً في كتابات مدافن الدياميس من ذكر الحياة الخالدة لاسيما على صورة الدعاء بعد ذكر اسم الميت : « فلتحيَ بالله . فلتحيَ بالربّ . إحيَ بالله . عِشْ الى الأبد . فلتحيَ بالروح القدس »

﴿راحة النفس وسلامها﴾ ومع ذكرهم خلود النفس البارّة يصرّحون براحتها وسلامها وخلوّها من اكدار الحياة الفانية كما روى القديس يوحنّا الحبيب في سفر رؤياهُ (٢١ : ٤) : « ويمسح الله كلّ دمعة من عيونهم ولا يكون بعدُ موتٌ ولا نَوْح ولا صُراخ لانَّ ما كان سابقاً قد مضى » . وهذا يوافق دعاء الكنيسة لموتاها : « الراحة الابديّة أعطِهم يا ربّ » وقد يرمزون الى تلك الراحة بالرُّقاد حتى ان المقبرة في لُغة الكنيسة باليونانيَّة واللاتينيَّة واللغات المشتقّة تُدعى بالمرقد والمنام : وعليهِ تجد على مدافن النصارى الاوّلين في ما اكتُشف منها في رومية وفي افريقية وجهات ايطالية العبارات الآتية : « أرقد بسلام الربّ . لتحصل نفسك على الراحة . يرقدون بالمسيح » وهذه هي نفس العبارة الواردة في رسالة القديس بولس الى اهل تسالونيكي

(٤:١٣) . ومثلها : « سلامك بالربّ يا فليقله . ليسترح بالسلام » . وهي هي العبارة الشائعة اليوم (requiescat in pace) والمختصرة بهذه الحروف الثلثة .R.I.P.

﴿السعادة الابديّة﴾ ولعلّ سائلاً يسأل : علامَ تتوقّف تلك الراحة التي يطلبونها لموتاهم ويتوقعونها لنفوسهم ؟ فنقول انّ تلك الراحة انّما هي السعادة الابديّة فيعبّرون عنها تارةً بفردوس النعيم وتارة بالجنان واماكن الخصب وحيناً بارواء العطش من ينبوع الحي كما جاء في اقدم النواقيز البيعيّة . مثال ذلك ما يطلبهُ الكاهن في الناقوس القبطيّ قائلاً : « أعطهم يا ربّ الراحة في المكان الخصيب وأسكنهم على مياه العزّ ومتّعهم في فردوس البهجة حيث لا همّ ولا غمّ ولا ضنك ولا نوح » . ومثلهُ في الناقوس المنسوب الى مار يعقوب الرسول : « أهّلنا اللهمّ ان نفوز بالراحة في بلدة الاحياء بملكوتك ونحظى بمسرّات جنان النعيم في حضن ابراهيم واسحاق ويعقوب حيث لا كدر ولا كآبة حيث يتلألأ نور وجهك الوسيم ويضيء الى الابد »

﴿مياه الحياة﴾ قد كرّروا ذكر المياه التي تروي نفوس المتنيحين لورود ذكرها في الانجيل في قول الربّ الى السامريّة انّهُ يعطي المؤمن بهِ ماء ينفي شاربهُ عن استقاء المياه المادّيّة . فترى في جبّانة القديس كليمنضس صورةً تُعرف بصورة الخمسة القديسين فهناك ترى ثلاثة اجناس من الطيور واقفةً على حوض ماء تشرب منهُ لتروي غليلها . وفيهِ اشارة الى صورة يونانيّة قديمة صُوّر فيها الميت كمن يشرب ماء وينتعش بهِ والى جانبهِ حمامةٌ وحوضٌ طافح بالمياه العذبة

وفي جبّانة القديس دماسوس البابا (سنة ٣٨٠ تقريباً) صورة مياه تنفجر من ينبوع على ايلَيْن يتنعمان بشربهِ اشاروا بهما الى قول داود في المزامير (٤١ : ٢) : « كما يشتاق الايل الى مجاري المياه هكذا تشتاق نفسي اليك يا ربّ »

وقد ورد في سيرة القديسين مريانوس ويعقوب انّ مريانوس رأى الفردوس كحديقة غنّاء يتخلّلها طريقٌ سويّ حولهُ اشجار فتواء كالسرو والصنوبر تناطح الجوزاء بملوّها وينساب بينها ينبوع ماء صافٍ غرف منهُ مريانوس فبرّد اجيج ظمإهِ

وعلى مثالهِ قال القديس اغوسطينوس يذكر صديقه نبريديوس بعد وفاتهِ : « انّ نفسهُ تستقي من ينبوع نورك الفائض فيرتوي ظمأها ويبرد غليل شوقها بارتشافها مياه الحكمة في مقرّ السعادة الابديّة »

﴿الوليمة السرية﴾ وكما رمزوا عن حياة العالم الآخرة بشبه الينابيع التي تطفئ عطش النفوس كذلك ألمعوا اليها بصورة الوليمة استنادًا الى قول الربّ الى تلاميذه في العشاء السرّي (لوقا ٢٢ : ٢٩) « انا اعدُّ لكم الملكوت كما اعدَّهُ لي ابي لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي » فورد على قبور المسيحيين الاوّلين الفاظ كهذه : أجلسه يا ربّ على مائدتك . وجاء عن المدعو تيودولس « قبلَهُ الله في الوليمة السماويّة »

﴿مقرّ النور﴾ وقد شاع ايضاً في اثريّات النصرانيّة الاولى ذكر النور كمقرّ الابرار . وما المراد بهذا النور الّا الحياة بالله والفوز به تعالى « لأن الله نور هو وليس فيه ظلمةٌ البتّة » (١ يوحنا ١ : ٥) وهو الذي « ينير على المختارين » (رؤيا ٢٢ : ٤) . ففي كتابات الديامس ما لا ريب فيه من هذا القبيل . ففي مدفن القديسة بركسيدة ما تعريبهُ : « امنح يا رب عبدك دونيوس نورك وراحتك آمين » وفي نافور الكنيسة الرومانيّة : « فليقدّم الملاك ميخائيل حامل اللواء هذه النفوس الى النور المقدّس الذي وعدتَ به ابراهيم ونسلَهُ »

ووجد كذلك على اثر آخر مثله في ديامس سيراقوزة من اعمال صقلية : « اذكر يا ربّ أمتك كريسدا واقبلها في بلد النور ومقرّ الراحة ومتّعها في حضن ابرهيم واسحاق ويعقوب رقدت في سادس أيار . . . »

ويغلب ايضاً الاشارة بالنور الى السيّد المسيح القائل « انا نور العالم » . والمقول عنهُ انهُ هو « النور الحقيقي الذي ينير كلّ انسانٍ آتٍ الى العالم » . فمنهُ يُثبت ذلك ما هو مرقوم على قبر في مقبرة القديسة بركسيدة : « ليكن معك النور يا أرمسكو . عش بنور المسيح الربّ الاله » . وفي مقبرة القديسة قرياقا : « لقد أعطيت يا بيرونس الجدّ للارض والنفسَ للمسيح لأنّ النفس تحظى بالنور السرمدي » . وفي مدفن القديسة بركسيدة ايضاً : « لقد حصل على نور المسيح السرمدي الذي لا يشوبهُ أفول البتّة » . ومثل هذا ما ورد هناك على ضريح سفريانوس : « ها هنا يرقد بعلامة السلام سفريانوس الكريم البار الذي عاش ٥٠ عاماً وحظيت نفسهُ بمشاهدة النور الربّاني »

﴿شركة القديسين﴾ ومما تجاهر به كتابات الديامس وآثار النصرانيّة الاولى ان الابرار يدخلون بوفاتهم في شركة القديسين ويحيون معهم . فمن ذلك ما يُقرأ على ضرائح كثيرين منهم : « فليحيَ مع القديسين الى الابد . فليحي ما بين القديسين .

عش مع القديسين» وليس ما تتلوهُ الكنيسة في طقوسها سوى صدًى لهذه الادعية. فجاء في التوافير البيعيَّة العريقة بالقدم «جازهم يا رب بالسعادة مع قديسيك. انظمهم في مصافّ قديسيك. ليتمتَّعوا مع الملائكة بنعيمك» فكل هذه الادعية تنفي كلّ شبهة بمعتقد الكنيسة الاولى بمصير النفس الابرار الى النعيم كما تعلّمهُ اليوم جميع ابنائها

ومما وُجد في رومية على سكّتها المعروفة باللاتينيَّة اثرٌ جميل على قبر فتاة بارَّة: «هنا راقدٌ جثمان جوليا اثرَتْه حبيبة الله التي تجدَّدت نفسها بروح المسيح واتَّخذت جسداً ملاكيًّا وانضمَّت الى زمرة القديسين في ملكوت المسيح السمويّ»

وقد صوّروا هناك اشخاص الموتى وهم يصلّون ما بين طائرَين او حملَين او ما بين هامتي الرسولين بطرس وبولس دلالةً على اشتراكهم باجواق القديسين. بل نقشوا على بعض القبور شخص الميت منتصباً بين شخصين من سكّان السماء متَّشحين بملابس فاخرة ملوكيَّة اشارةً الى سكنى الميت في رفقتهما بالنعيم

وفي مدفن القديس كليمنطوس صورة الراعي الصالح حاملاً على كتفهِ نفس الميت وحولهُ زمرة من القديسين تحفُّ بهِ بينهم شخصان متشحان بملابس بيعيَّة فاخرة وكلاهما يشرب من ماء يتدفَّق من صخرة يعنون بهِ ينبوع ماء الحياة

فترى من كلّ ذلك كم كان اعتقاد قدماء النصارى بحياة الآخرة متأصلاً في قلوبهم وكيف تفنَّنوا للدلالة على معتقدهم هذا ليقرّبوهُ من فهم العائشين بعدهم

٢ الدينونة الخاصَّة

على انَّ الاعتقاد المذكور لم يتمَّ للمؤمنين دون دينونة خاصَّة وفقاً لما ورد في رسالة القديس بولس الثانية الى اهل كورنتس (٥: ١٠) حيث قال: «انَّا جميعنا لا بُدَّ ان نظهر امام منبر المسيح لينال كل واحد على حسب ما صنع بالجسد خيراً كان او شرًّا» فهذه الحقيقة التي كان نكر البعض ورودها في الديامس قد بينها باجلى بيان السيِّد ويلبر (M^gr Wilpert) في كتابهِ الفريد عن آثار رومية المسيحيَّة. فذكر عدَّة كتابات وتصاوير تتراوح بين القرنين الثاني والرابع للمسيح لا شبهة في صحَّتها وصحَّة مدلولها. فمن ذلك رخامة اكتشفوها في مدفن القديسَين مرقس ومرقليوس تمثل السيِّد

المسيح مستوياً على عرشهِ وفوقهُ الشعار القسطنطيني ☧ مع هاتين اللفظتين باليونانيّة (ΔΕCΠΩΤΗC ΗΜΩΝ) اي سيّدنا او ربّنا . وامامهُ صورة المتوفّى واقفاً امام منبر الحاكم في هيئة الذلّ لا يستر جسمهُ سوى قميص قصير وهو ملتحٍ بلحية خفيفة ومحتذٍ بنعل والحاكم يمدُّ الى رأسهِ يداهُ كأنهُ يحاول إضامَهُ الى مختاريهِ . وهناك كتابة فيها اسم الميت ثيودولس (ΘΕΟΔΟΥΛΟC) المعتر ٧٢ سنة والاثر يرقى الى القرن الثالث للميلاد

وقد وصف السيد ويلبر اثرًا آخر يمثل فتاةً بازاء عرش سيّدها واقفةً بين نعجتين دلالةً على انَّ الديّان قضى لها بالخلاص مع المختارين . واسم الفتاة انطوزا وهي واقفة على هيئة المصلّين . وعلى ضريحها مكتوب : « انطوزا التي عاشت عشر سنوات فلتكن نفسها مع المسيح »

وفي دياس القديس ارستس صورة تمثل مسرحاً في وسطهِ مرقاة ذات اربع درجات تنتهي الى مستوى نُصب عليهِ عرش المحكمة تسند السباع اربع قوائمهِ والمسيح جالس عليهِ بهيئة الحاكم ذي الثياب الفاخرة وعلى هامتهِ اكليلٌ يحدق بها ويدهُ اليسرى تعرض دَرْجاً مفتوحاً بينما اليمنى مبسوطة فوق هامة شخص يصلّي في موضع منخفض امام العرش وهو لابس قميصاً ورداء وحذاء . وعلى جانبيهِ قدّيسان مشحان مثل الحاكم بملابس بهيّة كلاهما يمسك درجاً مرّةً كأنهما يدافعان عن الميت بذكر ما لهُ من البرّات ويقدّمان الميت الى الحاكم ليتّ الحكم فيهِ . والقدّيسان شهيدان ورد هناك اسمهما نزاريوس وڤكتور . وكأنَّ الحاكم اصدر في الميت حكماً موافقاً لرغبتهما

ومثلها صورة أخرى يُرى فيها السيّد المسيح وفي يدهِ صولجان الملك آية سلطتهِ ورمز عن معجزاتهِ وامامهُ المدعوّة فيبا مصلّيةً يسلّمها القديسان مرقريوس والكتُس الى ديّانها . فيُبرز عليها حكماً صالحاً فتحظى بالوليمة الخالدة التي يقودها اليها احد الملائكة

وقد وجد في دياميس سيراقوزة صورة بديعة راقية الى القرن الرابع للمسيح تشبه الصور السابق ذكرها فيمثل السيّد المسيح ضمن هالةٍ جالس على عرشه وعلى رأسهِ التاج يعلوهُ شعارهُ الخاصّ وامامهُ المتوفاة المدعوّة مرقيا على جانبيها الرسولان بطرس وبولس وقد بقي اسم الاوّل فقط وهما مشحان بالدرع والرداء . والمسيح يمدُّ

يدهُ نحو مرقيا بتعطف وحولها الزهور المشيرة الى جنان الفردوس مع هذه الكتابة : «ها هنا راقدة مرقيا التي عاشت ٢٥ سنة و ٧ اشهر و ١٥ يوماً» . . وفي بعض زوايا الصورة : «اذكر يا ربّ أمتك مرقيا»

فيتضح من هذه الآثار انَّ المسيحيين الاوَّلين اعتقدوا ما تعتقدهُ اليوم كنيسة المسيح اعني امتحان النفس بدينونة خاصَّة عند خروجها من جسدها وقبل فوزها بالنعيم

٣ شفاعة القديسين

وفي هذه الآثار التي مرَّت بك ترى صحَّة تعليم آخر تتشبَّث به اليوم الكنيسة الرومانيَّة الاورثذكسيَّة تريد بهِ شفاعة القديسين فان الكنيسة لم تزل منذ عهد الرسل تعتقد بان للقديسين نفوذاً لدى الله بما مارسوهُ في حياتهم من الصلاح فينالون منهُ تعالى لمن تضرَّع اليهم وتعبَّد لهم نعماً جزيلة في حياتهم وعماتهم وهذا ما يدلُّ اليهِ وجود القديسين في محاكمة الموتى يرافقون المتوفَّى ويقدّمونهُ الى ديَّانهِ ويتشفَّعون بهِ

ويلوح ذلك في صورة بديعة تُرى في رومية في الطبقة السفلى من كنيسة مسار اقليسيس وترتقي الى القرن التاسع للمسيح فترى هناك صورة ابن الله الجالس على عرشهِ وملاكين واقفين في حضرتهِ مع شخصين قديسين وهما القديس الرسول اندراوس والقديس اقليسيس تلميذ بطرس هامة الرسل . وبين القديسين شخصان آخران الواحد عن اليسار حاملاً كأساً والآخر عن اليمين لائذاً بحماية ملاكهِ الحارس الواقف بقربهِ . بينما يستودعهُ الى السيِّد المسيح القديسان المحاميان عنهُ . فيشير القديس اقليسيس الى اعمالهِ المبرورة المستحقَّة الثواب وينشر القديس اندراوس درجاً يحتوي على غير ذلك من حسناتهِ فيصغي الديَّان الى شفاعتهما ويحكم الحكم المرغوب على الشخص المتوفَّى الذي يُرى منتصباً متردياً بحلَّة بيضاء تعلوها بردةٌ غبراء . وفي يسراهُ كتابٌ مرصَّعٌ بالجواهر يشير فيهِ الى آية الرسول بولس «لقد جاهدتُ الجهاد الجميل» أمَّا الشخص الحامل الكاس فهو القديس متوديوس الذي سعى بنقش هذا الاثر تذكاراً لاخيهِ القديس قيرلُّوس المتوفَّى في رومية سنة ٨٦٩م وهما رسولا الصقالبة الشهيران وقد جعل الكأس في يدهِ اشارةً الى تقدمتهِ الذبيحة الطاهرة عن نفس اخيهِ المتوفَّى . أمَّا الملاكان فهما جبرائيل وميخائيل يستمدان لأن ينقلا النفس الى الاخدار السماويَّة

فترى في هذه الصورة امرين جديرين بالاعتبار يؤيدان معتقدات الكنيسة اعني قوَّة

شفاعة القديسين خير البشر ثم مفعول صلوات الكنيسة وتقدمة ذبائحها لراحة نفس المؤمنين

وكثيراً ما يُرى في ديامس رومية مكتوباً على قبورها ادعية يستمدُّون بها شفاعة الشهداء القديسين لينالوا بواسطتهم افراح النعيم. فمن ذلك الادعية التالية: «أيها القديس لورنتيوس ساعد نفسهُ. فليستحك الراحة القديس الشهيد هرليطس. ايتها القديسة باسيلا اننا نستودعكِ كريستينوس وابنتنا كريستينا. يا فرجينيا باپوزا العزيزة فليستحكِ الراحة الربُّ والمسيح والقديسان ادوكتُس وفليكس

وممَّا وجد في مقبرة انطيتوه في مصر كتابة قبطيَّة على هذه الصورة: «يا إله كرلوتوس (الشهيد) ارحم نفس جوستينا المتوفاة واقبلها في السماء. في نعيم القديسين نتوسَّل اليك ان تُسمعها ذلك الصوت العذب: تعالَي الى الفرح السماوي...»

وهذه التوسُّلات كانوا يوجهونها الى غير القديسين من اهلهم واقاربهم المسيحيين ولاسيَّما الصغار الانقياء القلوب لاعتبارهم اياهم من جملة الفائزين بالمجد والمقتدرين على التشفُّع بهم مثال ذلك ما صورتُهُ: «يا سِبَستوس النفس الكريمة اطلب وابتهل في شأن اخوتك وزملائك. يا مترونانا يا من اصبحت حقيقةً ما ترونا (اي سيِّدةً) تضرَّعي لاجل والديكِ (عاشت مترونانا سنةً واحدةً و ٥٢ يوماً). فلتسترح نفسكِ بالله. توسَّل اليهِ لاجل شقيقتك. وورد على مشهد اقامهُ اناطوليوس لابنهِ الذي عاش سبع سنين وستَّة اشهر وعشرين يوماً: يا بُنيَّ عِشْ في الله وصلِّي لاجلي ما دمتُ حيًّا. يا بِكْرنا اناطول الذي اخترمَتهُ المنيَّة سريعاً صلِّ لاجلنا. استمدَّ من الله بصلواتك مغفرة خطاياي وعش انت بسلام»

وهذه الشفاعة لم يقصروها على القديسين المتنيحين بالرب بل يطلبونها ايضاً من الاحياء ليساعدوهم بصلواتهم ان ينالوا النجاة من البطهر. جاء في كتابة مصونة في المتحف اللاتراني في رومية: «الرجاء من كلّ الاخوة الذين يطَّلعون على هذه الكتابة ان يطلبوا من الله بان الملحود في هذا القبر يُقبَل عند الله بروح مقدَّسة طاهرة» فهذا ادلُّ دليل على منفعة صلوات الكنيسة لاجل الموتى

وقد جاء في اخبار القديسة خالدة شهيدة قرطجنَّة انَّ الله اراها اخاها المرحوم دينوقراطس في حالة الحزن والعذاب لا يستطيع ان يبرِّد غليلهُ عند ينبوع هناك فصلَّت لاجلهِ وفي اليوم السابق لاستشهادها ظهر لها اخوها شاكراً فرحاً في حديقة

غنّاء ملتحفاً بالنور يشرب بهناء من الينبوع المذكور

فمن لا يرى ما تحتويه كلّ هذه الطلبات والادعية من اعتقاد اصحابها بشفاعة القديسين لا بل جميع المختارين وكم يبطل زعم الهراطقة والبروتستانت الذين ينكرون ذلك كأنّ الكاثوليك باستمدادهم شفاعة اوليا الله ينقصون شيئاً من جلال الله وقدرته ولا يرون انّ اكرامنا للبتول العذراء وللقديسين يعود الى الله عينه الذي زيّن والدته وقديسيه بتلك الفضائل والنعم التي يلتمسونها منهم

٤ قيامة الاجساد

انّ بعث الاجساد ونشورها لمن الحقائق التي صرّح عنها السيّد المسيح في انجيله ثمّ اعلن بها تلاميذهُ من بعده باوضح كلام واجلى بيان لاسيما القديس بولس في رسالته الاولى الى اهل كورنتس الفصل الخامس عشر حيث اثبت انّ قيامة السيد المسيح من بين الاموات هي سند ايماننا بقيامة اجسادنا في اليوم الاخير . وقد بيّنت هذه المجلّة الامرين في مقالة مطوّلة مع عدّة تصاوير نُشرت هناك (المشرق ٩ [١٩٠٦] : ٣٣٧–٣٤٦) وقد اثبتّ معها هناك الآثار التي تُرى في الدياميس مؤيّدة لهاتين القضيّتين ومن ثمّ نُحيل القرّاء الى مراجعة ذلك الفصل

ونكتفي ببعض الشواهد على انبعاث الاجساد . فانّ بين الكتابات الضريحيّة للمسيحيين الاوّلين في رومية وغيرها كثيراً ما يدوّنون هذه العبارة : « هذا مرقدٌ لفلان ليوم القيامة . قد أعدّ كالوجيرو هذا المرقد لوالديه مقدونيوس وزوجينا ليوم القيامة . لحد الجسد في الارض حتى يأتي يوم الفرح بشير القيامة »

ومن ادلّتهم على ايمانهم بالقيامة انهم يستودعون اجساد موتاهم للقديسين لينبعثوا معهم في يوم الدين وقد تفنّنوا بالرموز المشيرة الى قيامة اجسادهم فتارة يرمزون اليها بصورة النبات او الزهر في فصل الربيع وتارة بصور بعض الحيوانات التي كانوا ينسبون اليها الخلود او تجديد شبابها كالسمندل والطاووس والنسر ودود القزّ . وربّما رسموا بعض الاحداث الكتابيّة الدالّة على ذلك كنجاة يوسف من جبّه ونجاة شمشون من اعدائه في غزّة وكيونان عندما يقذفهُ الحوت وكدانيال عند خروجه من جب الاسود او لعازر اذ يقيمهُ السيّد المسيح من قبره . يشعرون بكل هذه التصاوير انّ الله سيعيد لاجسادهم الحياة ويشركها مع نفوسها بالسعادة الابديّة

٥ المكافأة الحالية

الّا انّ رجاء المؤمنين الاوّلين بقيامة اجسادهم لم تصدّهم عن الاعتقاد بانّ نفوسهم ساعة انفصالها عن الجسد ان لم يكن لها ما تفيه لعدله تعالى في تطهير موقّت تنال حالًا السعادة التامّة في السماء بالتمتّع بنظر الله ومشاهدته وجهاً لوجه. خلافاً لمن يزعم بانّ تلك السعادة لا ينالها الابرار الّا بعد القيامة الاخيرة

ولا ننكر انهُ وقع في الكنيسة الكاثوليكيّة نفسها بعض الجدال في هذا المعنى فيّزوا بين الفردوس وسماء الملئكة فجعلوا الفردوس مقرًّا للنفوس ريثما تجتمع باجسادها يوم القيامة فتدخل سماء الملئكة لتشاهدهُ تعالى في نورهِ الالهي كما هو

على انّ هذا الجدال ما لبث ان بطل بما اتاهُ ذوو النزل الصائب من البراهين النقليّة والعقليّة لنقض آراء مخالفيهم واليوم لا يشكّ في الحقيقة اثنان بين الكاثوليك اللهمّ الّا بين الروم الذين يتردّدون في هذه المادّة كما في غيرها من الحقائق

ونضرب الصفح عن ادلّة هذه القضيّة اللاهوتيّة والتقليديّة ونكتفي بالنصوص الواردة في مآثر النصرانيّة الاولى فنرى تلك النصوص على وتيرة واحدة لا تفرق بين نعيم موقّت نصفيّ وبين السعادة التامّة برؤيا الله عزّ وجلّ فانّ الكتابات المرقومة على ضرائح الموتى في الديماس تتضمّن كلّها التمنّي ورجاء الحياة بالله والمسيح او بالحياة مع الروح القدس او مع اقانيم الثالوث الاقدس وهذه الحياة تعني بلا شكّ السعادة التامّة بمشاهدة الله في جوهر طبيعتهِ الالهيّة مثال ذلك اثر بوقنديس في مدفن دوميتيلا: « يحيَ بوقنديوس بالآب والابن والروح القدس لانهُ آمن بيسوع المسيح »

والى هذا الباب يعود ما سبق من التاسيم للحياة والراحة والسلام والنور - فان كانت النفس الموتى لا تزال مبتعدةً عن نظر الله فانّ تلك الحياة والراحة والسلام والنور لا حقيقة لها اذ لا تتمّ الّا بمشاهدة الجوهر الالهيّ. فهذه شواهد أُخرى تزيد ما سبق ايضاحاً جاء في مقبرة القديسة بركسيدا عن احد الموتى: « قد حظيت نفسهُ بنور ربّاني » . وورد في مدافن غيرها: « قد فاز دوناطس بالراحة في الله . حازت هيرقلية سلام الربّ »

وكذلك ما استعاروهُ من ارواء العطش بينبوع الماء الحيّ وسدّ الجوع بالوليمة السمويّة. والحظوة بالملكوت. وحضور افراح العرس كلّ ذلك يشير الى بلوغ النفس

الى غاية متمنّاها بقربها من الله الذي وحدهُ يمكنهُ ان يبرّد غليلها ويشبع جوعها. تُضاف اليها النصوص الآتية : « قد كُتب اسمك أيها البارّ في الرليسة السماوية . فلتكن ارموجينا فائزةً بالرليسة السماوية »

وجاء في ترجمة القديسين الشهيدين كربوس وبابيلس انَّ اغاثنجة كانت حاضرةً استشهادهما فخُطفت بالروح ورأت مائدةً فاخرة معدَّة في السماء لهذين الشهيدين فلما افاقت اخذت تصرخ وتعرض نفسها للجلّادين ليعذّبوها معهما قائلةً : «انَّ هذه الرليسة العظيمة معدَّة لي ايضاً فيجب بموتي ان اشترك بها»

ومثلها الصور المنقوشة في الديماميس حيث تُرى ينابيع المياه يتنعَّم بشربها الحمام المرموز به عن النفس

ومما ورد عن الملكوت اثر جوليا إقرستا : « قد قُبلت في ملك المسيح مع القديسين » . ومنها : « استودعَ نفسهُ المختارة الى القديسين في الابديَّة . استحقَّ ان يلج الخادع الملكوتيَّة ويفوز بالملك السماوي . دخلَتْ الى العرس مع العذارى الحكيمات »

فهذه الشواهد كلُّها تصدع بغاية واحدة اي الدلالة على انَّ النفس حظيت بجزائها بعد انفصالها من جسدها وانَّها الجسد سيشاركها يوم القيامة بفرحها ويعاين الله معهما

٦ الدينونة العامَّة

انَّ قيامة الاجساد ستعقبها الدينونة العامَّة التي توّه بها المخلّص في انجيله الطاهر ووصفها وصفاً مدقّقاً ذاكراً سوابقها وتفاصيلها ثمَّ لواحقها بافراز الصالحين عن الطالحين «فيذهب هؤلاء الى العذاب الابدي والصدّيقون الى الحياة الابديَّة » (متى ٢٥ : ٤٦) :

وذكرُ الدينونة الاخيرة متكرّر في الآثار الكتابيَّة القديمة سواء كان في ديماميس رومية او في غيرها . منها اثرٌ وُجد في غاليا وهو كتابة يصرّح فيها راقمُها بذكر القيامة الاخيرة : « ههنا يرقد بسلام دلاتا الذي فداهُ المسيح بموته ويتوقع بفرح يومَ الدينونة العتيدة »

ومن الآثار المكتشفة في مدينة ميلانو ما نصُّهُ معرَّباً : «يفرح المترفّى بالروح يوم يبعث جسدهُ ثانيةً ويقبل من الحاكم العادل جزاء الابديَّة الذي يستوجبهُ» وجاء في

اثر آخر : « اني لأنتظر الجزاء السماوي المعدّ للصالحين »

وكُتب على اثر ثالث : « ليرحمهُ الرب في يوم الدينونة » فالمراد كما يلوح انما هو الدينونة الاخيرة اذ انَّ الدينونة الخصوصيَّة لا تتأخر عن وفاة الميت

ومما يُروى في احدى كنائس رومية القديمة : « أيها الداخلون الى هذه الكنيسة صلُّوا لاجل ادرداريو الكاهن الخاطئ ليرحمهُ الرب في يوم الدينونة »

وفي كنيسة القديس فيلكس النُّوليّ كتابةٌ ضريحيَّة يُقال فيها انَّ صاحب البيعة « يُسَرّ بضيفهِ العزيز (اي الميت) ويستودعهُ الى المسيح وسيصحبهُ الى المحكمة عندما يدقّ النفير الهائل وتتزلزل الارض وتعود النفوس الى اجسادها

وجاء على قبر يرتقي عهدهُ الى ديوقاطيانس سنة ٣٠٣ لفتاة تدعى سَويرة : « انَّ جسدها راقدٌ هناك بسلام ريثما يبعثهُ الربّ الذي خطف نفسها وهذه النفس العفيفة النقيَّة سيرجعها الربّ الى جسدها مزيَّنة بمجد روحاني . قد عاشت تسع سنوات واحد عشر شهراً و ١٥ يوماً »

وعلى عدَّة قبور في دياميس رومية وغيرها الفاظ يَستحلف فيها الكاتبُ اهلَ الارض عن لسان الميت بألا ينتهكوا حرمة قبرهِ فيختمها عادةً بذكر الابديَّة . مثال ذلك : « من دنَّس هذا القبر فليُطرح جسمهُ بلا دَفن ولا يَقُم مع الصالحين »

ومما اكتُشف سنة ١٩٠٩ في كنيسة مريم المدعوَّة بالترنستيفيرا كتابة على هذه الصورة : « اني استحلف (كلَّ من يقرأ) بدم الاب والابن والروح القدس ويوم الدينونة المرعب ان لا يجسر وينتهك هذا القبر »

هذا فضلاً عن صور قديمة تمثِّل الدينونة العامَّة تُرى حتى اليوم آثارها كالصورة الموجودة في كنيسة مار اقليمس حيث استوى المسيح جالساً كحاكم يحفُّ بهِ الرسل وهم جلوس ايضاً على اثني عشر كرسيًّا كما وعدهم في الانجيل (متى ١٩ : ٢٨) ثمَّ تحتهم عن يمين الحاكم نفوس الطوباويين في اورشليم السماويَّة وعن يسارهِ نفوس الهالكين في جهنَّم . وقد ذكر بيدا المكرَّم في القرن الثامن تصاوير قديمة كانت تمثِّل يوم الدين

وفي هذه العجالة كفاية لاثبات ما قلنا عن بيان معتقدات الكنيسة الاولى ومطابقة تعاليمها مع تعاليم الكنيسة الرومانيَّة في عهدنا والشكر لله على كلّ حال